غيلان الدمشقي

سيرة ومسيرة

جمال الشامي

غيلان الدمشقي

سيرة ومسيرة

جمال الشامي

النسخة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنما نُقِم مِنَّا أن قُلنا: (إنَّ ربَّنا مُنْصِفٌ لا يجُور)»

غيلان الدمشقي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد:

الجبر من أخطر الانحرافات العقدية في المجتمع الإسلامي فمنذ «أن نشأ في بني أمية وملوكهم وظهر في أهل الشام ثم بقي في العامة وعظمت الفتنة فيه»[1]، والقيم الدينية والأخلاقية في اضطراب والسلوك الديني في انحدار مستمر، فماذا عسى أمة أن تعمل وحاكمها – معاوية – يقول: «لو لم يرني ربَّي أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإيَّاه، ولو كره الله تعالى ما نحن فيه

(١) الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد، (٢٠١٧)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، (الطبعة)، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ص:٩٥.

لغيَّره»[١]، وكان يقول: «أنا خازن من خزان الله تعالى، أعطي من أعطاه الله تعالى، وأمنع من منعه الله تعالى، ولو كره الله أمراً لغيَّره»[٢].

وشاعرها يقول:

فالأرض لله ولاّها خليفته ... وصاحب الله فيها غير مغلوب[٣]

ويقول آخر:

الله طوقك الخلافة والهدى ... والله ليس لما قضى تبديل[٤]

كيف لهذه الأمة أن تتقدم أو تمنع الظلم والاستبداد والفساد وهي ترى – كما يرى حكامها وفقهائهم – أن الظلم القائم والفساد بقضاء من الله تعالى وقدر، وأن الخروج عن ذلك الوضع هو خروج عن قضاء الله وقدره، والخرج عن ذلك خروج عن الإسلام، والخروج عن الإسلام – المزعوم – يوجب القتل والصلب وصنوف العذاب!

---

(١) الحاكم، المحسن بن محمد بن كرامة، شرح عيون المسائل، ج:١خ.

(٢) الحاكم، مرجع سابق، ج:١خ.

(٣) ديوان الفرزدق ص٤٩.

(٤) ديوان جرير ص٩٥.

سأل المأمون العباسي النضر بن شميل: ما الجبر؟ فقال: «دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم، وينقصون به من دينهم»[١].

مع ذلك بقية هناك طائفة[٢] قليلة العدد والعُدّة، كثيرة البرهان والحجة، ظاهرة على التوحيد والعدل لم يضرها خذلان من خذلها رغم كثرة عددهم وعدتهم وسلطتهم ونفوذهم، فرأت هذه الطائفة أن لا يحل لعين ترى الله يُشَبِّهَ ويجوَّر فتطرف حتى تغير أو تَنْتَقِلَ، فأعلنت جهراً موقفها الرافض لذلك الداعي إلى التغيير على لسان إمام الجهاد والاجتهاد الغاضب لله في أرضه من الجور والفساد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في بيانه المشهور: «إني أبرأ إلى الله المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه،

(١) الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير، (١٩٨٦)، البداية والنهاية، (الطبعة)، بيروت، دار الفكر، ج:١٠ص٢٧٦.

(٢) عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**)) صحيح مسلم ج٣ص١٥٢٣.

ومن المجبرة الذين حملوا ذنوبهم على الله، ومن المرجئة الذين طمعوا الفساق في عفو الله..»[١].

وقد عملت هذه الطائفة على تصحيح الانحرافات العقدية من خلال الكتب والرسائل والمناظرات وهذه سيرة العدلية في كل زمان ومكان، ومن أكابر رموزها والسالك في طريقها العالم الجليل غيلان الدمشقي الذي لاقى نفس مصير الإمام زيد بن علي وهو مصير عظماء الأمة الإسلامية، إضافة إلى ما تعرض إليه من تشويه بالغ على لسان سلاطين الجور وفقهاء الضلال حتى كاد أن يشك فيه أهل العدل لكثافة وتأثر ذلك التشويه، أما أذية العامة له فما هم إلا تبعاً لملوكهم وفقهائهم فقد كان له «كتاب في (الرد على الأوزاعي في القدر) وكان يقدمه حتى شهر به، فكان يؤذى، فوضع كتاباً في مخالفة قوله، وتقرب به إلى العامة حتى أمسكوا عنه»[٢].

فقد رأيت أن من الواجب عليّ الكتابة عن غيلان الدمشقي سيرته إلى التوحيد والعدل ومسيرته فيه رغم قلة المصادر المتوفرة عنه إلا أنها كافية في

---

(١) السياغي، الحسين بن أحمد، ()، الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير، ()، بيروت، دار الجيل، ج:١ص٥١.

(٢) الهمذاني، مرجع سابق، ص:١٩٧.

الكشف عن جليل قدرة وعلمه وحسن سيرته وكاشفة عن زيف التشويه الذي تعرض إليه ومبينة حقائق غائبة عن الكثير، وجامعة لما أثر عنه من الرسائل والحكم والمواعظ البالغة، أرجو من الله تعالى الإعانة والتوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

٢٠ ذو القعدة ١٤٤١هـ.

١١ / ٧ / ٢٠٢٠م.

المبحث الأول

الأوضاع السياسية والدينية

المطلب الأول: الأوضاع السياسية:

ولد غيلان الدمشقي في ظل الدولة الأموية، وما أدراك ما الدولة الأموية، حكم وراثي عضوض[١]، وجاهلي[٢] برداء إسلامي، «يتسم بالقسوة السياسية، ويمنع الناس من أن يبدوا آراءهم في الحكام إلا ما يوافق هواهم، وكان يتجه إلى تقديس كل ما يفعله الولاة والحكام، حتى كانوا يعبرون عن أنفسهم بأنهم خلفاء الله ... وإن تلك الكلمة التي صاح بها عبد الملك بن مروان في البيت الحرام، وجموع الحجيج حاشدة: ((من قال لي أتق الله قطعت عنقه))[٣]، كانت شعار الملوك من بني أموية وولاتهم، اللهم إلا

---

(١) قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً)) البداية والنهاية ١١/ ٤٣٩، قال ابن الجوزي: ملك عضوض: فِيهِ عسف كَأَنَّهُ يعَض الرعايا بالأذى. غريب الحديث ٢/ ١٠٤.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بعثت بين جاهليتين، لا أخراهما شر من أولهما)) الأمالي الخميسية للشجري ٢/ ٣٨٣.

(٣) ابن الأثير، علي بن محمد، (١٩٩٧)، الكامل في التاريخ، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الكتاب العربي، ج:٣ص٥٣٥.

تلك الفترة التي كانت كومضة البرق في ذلك الظلام الدامس ، وهي عصر الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز»[1].

مع ذلك فقد «بنوا لهم دولة كبرى، ومدوا الفتوح إلى أقاليم جديدة، امتد إليها الاستعراب والإسلام .. لكنهم صنعوا إنجازهم السياسي هذا على حساب العدل الإسلامي، الذي حدثنا الله سبحانه، عن أنه الغاية، لا للدنيا فقط ، بل وللدين، ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[الحديد:٢٥] .. فالقسط – العدل – هو الغاية من الكتب والرسالات»[2].

«وقد تصاعدوا بالظلم الاجتماعي حتى عم وطم، واصبح القاعدة، وغدا العدل هو الاستثناء .. النادر.

(١) أبو زهرة ، محمد، (٢٠٠٥)، الإمام زيد حياته وعصره آراؤه وفقهه، ()، القاهرة، دار الفكر العربي، ص:١٠٣.

(٢) عمارة، محمد عمارة، (١٩٩٧)، تيارات الفكر الإسلامي، (الطبعة الثانية)، القاهرة، دار الشروق، ص:٩٨.

لذلك قامت ضدهم ثورات لم تقف، وكانوا يمارسون العنف الوحشي ضد الثورات، الأمر الذي استفز الفقهاء والزهاد فانخرطوا في هذه الثورات.

وقد بلغوا قمت العنف في قمعهم الثورات التي تزعمها آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشيعتهم، لقد صنعوا مأساة كربلاء – ٦١هـ/ ٦٨٠م – التي جسدها الاستشهاد المأساوي للإمام الحسين بن علي [٤ – ٦١هـ ٦٢٥ – ٦٨٠م] .. وقمعوا ثورة التوابين، التي قادها في العراق سليمان بن صرد [٢٨ ق.هـ – ٦٥هـ ٥٩٥م – ٦٨٤م]، وثورة الكوفة التي قادها المختار الثقفي [١ – ٦٧هـ ٦٢٢ – ٦٨٧م] ، ومارسوا ذات القمع مع الثورات غير الشيعية، مثل ثورة عبد الله بن الزبير [١ – ٧٣هـ ٦٢٢ – ٦٩٢م]، وثورة عبد الرحمن بن الأشعث [٧٥هـ ٧٠٤م] .. وثورة عظيم الأزد الحارث بن سريح [١١٦هـ ٧٣٤م].

لكن هذا القمع، الذي مارسه الأمويون ضد خصومهم لم يستطع أن يخرس الألسنة عن أن تنعقد المظالم الفاشية .. كما لم ينجح في كف العزائم والقلوب عن أن تفكر في الثورة، طريقاً للتغير.

- فالشعبي، عمار بن شراحيل [١٩ - ١٠٣هـ ٦٤٠ - ٧٢١م] وهو من أبرز الرواة وحفاظ الحديث - حتى ليلقب بأمير المؤمنين في الحديث - يتحدث عن بني أمية فيقول: "فو الله ما أعلم قوماً على بسيطة الأرض أعمل ولا أجور منهم في الحكم" (١).

- وسعيد بن المسيب [١٣ - ٩٤هـ ٦٣٤ - ٧١٣م] الملقب بسيد التابعين، وأحد فقهاء المدينة السبعة، والمبرز في الحديث، وفي الزهد والورع .. كان يقول في بني أمية: "ما أصلي صلاة إلا دعوت الله عليهم، اللهم أعز دينك ، وأظهر أولياءك ، وأخر أعداءك" (٢).

فلا قمع بني أمية لخصومهم قد توقف، ولا مظالم للناس قد خفت وطأتها، ولا نقد الناس للقمع والظلم، وشوقهم للعدل قد اختفى.

ولقد كان عهد هشام بن عبد الملك [١٠٥ - ١٢٥هـ ٧٢٤ - ٧٤٣م]، لطوله، هو أكثر العهود التي برزت فيها معالم الردة التي حدثت بعد موت

---

(١) الطبري، محمد بن جرير ، (١٣٨٧)، تاريخ الطبري، (الطبعة الثانية)، بيروت، دار التراث، ج:٦ص:٣٥٩.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، (١٩٩٠)، الطبقات الكبرى، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج:٥ص:٩٧.

عمر بن عبد العزيز، لقد حكم هشام بعد عمر بن عبد العزيز بأربع سنوات، واكتملت في عهده مظاهر الردة عن عدل عمر، فكانت المقارنة بين العهدين مما يستفز النفوس كي تثور.

وزاد الأمر سوءاً، على عهد هشام بن عبد الملك، ما أخذه على نفسه من السعي لاضطهاد كل التيارات الفكرية التي ناصرت عمر بن عبد العزيز، لقد أعاد الحرب ضد الخوارج، الذين أقام معهم عمر بن عبد العزيز هدنة، وجمع العديد من قادة المعتزلة وأهل العدل والتوحيد فنفاهم إلى جزيرة (دهلك) القاحلة النائية الحارة، في مدخل البحر الأحمر، وهي الجزيرة التي كان يضرب بها المثل في البعد، حتى ليقول الشاعر عن حبيبته:

ولو أصبحت خلف الثريا لزرتها بنفسي ولو كانت بدهلك دورها

أما أهل البيت فإن إحجامهم عن العمل الثوري منذ قمع ثورة المختار الثقفي [سنة ٦٧هـ سنة ٦٨٧م] لم يجعلهم بمنجاة من الاضطهاد ، فالإمام زين العابدين علي بن الحسين [٣٨ – ٩٤هـ ٦٥٨ – ٧١٢م] – والد زيد – قد أدار ظهره لأحداث السياسة، ومع ذلك فلقد اضطهده عبد الملك بن مروان [٢٦ – ٨٦هـ ٦٤٦ – ٧٠٥م] وحاول هشام بن عبد الملك إهانته

والحط من شأنه، والإمام الباقر أبو جعفر محمد بن علي [٥٧ - ١١٤هـ ٦٧٦ – ٧٣٢م] – أخو زيد – لم ينجه من الاضطهاد انصرافه عن أمر السياسة ، لقد تصاعد الاضطهاد الأموي لآل البيت حتى رأينا الإمام الصادق جعفر بن محمد [٨٠ – ١٤٨هـ ٦٩٩ – ٧٦٥م] – ابن أخي زيد – يدعوا آل البيت وشيعتهم إلى هجران طريق الثورة على الأمويين، انتظاراً لفرج يأتيهم من السماء، فيقول: "إن بني أمية يتطاولون على الناس، حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها، وهم يستشعرون بغض أهل البيت، ولا يجوز أن يخرج – يثور– واحد من أهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم"»[(١)].

المطلب الثاني: الأوضاع الدينية:

كانت الحالة الدينية في وضع سيء كما وصف الإمام علي: «وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن

(١) عمارة ، مرجع سابق ص:٩٨-١٠١.

مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو، فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم؛ لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا على الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلا اسمه ولا يعرفون إلا خطه و زبره، ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية و جعلوا في الحسنة عقوبة السيئة ..»[1].

وقد دلّت الشهادات الصحيحة على ذلك، منها: عن أنس قال: «ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قيل: الصلاة قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها»[2]، وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك

(١) ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله ، (١٩٥٩) ، شرح نهج البلاغة ، (الطبعة الأولى) ، مصر ، دار احياء الكتب العربية ، ج:٩ص:١٠٤.

(٢) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، (١٤٢٢) ، صحيح البخاري ، (الطبعة الأولى) ، بيروت ، دار طوق النجاة ، ج:١ص:١١٢.

قال: «ما أعرف شيئا مما كنا عليه على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أين الصلاة ؟ قال: أولم تصنعوا في صلاتكم ما قد علمتم»(١).

وعن عثمان بن سعد، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: «ما أعرف شيئا مما عهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليوم. فقال أبو رافع: يا أبا حمزة ولا الصلاة؟ فقال : أوليس قد علمتم ما صنع الحجاج في الصلاة»(٢).

وقد ظهرت في ذلك العصر عقائد خطيرة كان لها دور كبير في الجناية على الإسلام والمسلمين، كالجبر والقدر والإرجاء والتشبيه، فأما الجبر فهو صناعة السلطة في ذلك العصر وهي الأموية والمراد منه أن الإنسان مجبر على جميع أفعاله ملجأ إليها مضطر إلى فعلها، فولاية الحكام وظلمهم وقعت جبراً عنهم، لا إرادة لهم، وأما القدر فالمراد منه أن الله تعالى خلق أفعال

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، (١٩٧٥)، سنن الترمذي ، (الطبعة الثانية) ، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ج:٤ص:٦٣٢.

(٢) الشيباني، أحمد بن حنبل ، (٢٠٠١) ، مسند أحمد، (الطبعة الأولى) ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج:٢٠ص:٤٠٥.

العباد الحسن منها والقبيحة، ووقوعها بقضاء من الله وقدر[١]، لذا يجب على المسلمين الرضى بكل من تأمر عليهم وبأفعاله، لآن ذلك وقع جبراً عنه وبقضاء من الله وقدر، وفي ذلك يقول القسري: «إن الله جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها، فسلموا وأطيعوا، ولا تقولوا كيت وكيت إنه لا رأي فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه»[٢].

وكان الهدف من إنشاء الإرجاء[٣] «إبعاد شبح التكفير والإدانة الدينية عن أولئك الذين قلبوا نظام الحكم في المجتمع الإسلامي، وبدلوا فلسفته من شورى واختيار إلى: وراثة وملك عضوض»[٤].

وأما التشبيه فسبيله تصور الصانع، ووصفه بصفات المحدثات، وحدوث ذلك يرجع إلى أسباب عده منها تداخل التراث غير الإسلامي

---

(١) الشامي ، جمال صالح محسن ، () ، بلوغ المراد في معرفة أديان ومذاهب العباد ، (مخطوط) .

(٢) الطبري ، مرجع سابق ج:٦ص:٤٦٤ .

(٣) قال المأمون للنضر بن شُميل: ما الإرجاء؟ فقال النضر: دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقصون به من دينهم. [تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٣ص٣٠١].

(٤) عمارة ، مرجع سابق ص:٩٨.

بالإسلامي، عن طريق الفتوحات ودخول غير العرب الإسلام، والتفسير بالظاهر وغير ذلك.

وقد كانت لغيلان الدمشقي جهود جليلة في التصدي لهذه العقائد المنحرفة التي أثرت على سلوك الأمة وما زالت، ولشدة تصديه لذلك وصفه خصومه بـ(القدري)؛ لمجاهرته في إعلان التوحيد والعدل في وجه كل مشبه وجبري، حتى أنه دخل على عمر بن عبد العزيز وقال: إن أهل الشام زعموا أن الظلم بقضاء الله وقدره! وأنك تقول بذلك؟ فقال: يا سبحان الله؛ إني أتتبع مظالم بني أمية وأسميها مظالم، فترى أني أُظَلِّم الله وأنسب إليه القبيح؟»[1].

ومن ذلك ما روى الخصوم عن «سليمان بن أحمد، ثنا إبراهيم بن محمد بن عرق، ثنا عمرو بن عثمان، ثنا عبد الملك بن محمد الصنعاني، قال: سمعت الأوزاعي، يقول: قدم علينا غيلان القدري في خلافة هشام بن عبد الملك، فتكلم غيلان وكان رجلاً مفوهاً فلما فرغ من كلامه قال لحسان:

(١) المنصور، عبد الله بن حمزة، (٢٠٠٨)، الشافي، (الطبعة الأولى)، صعدة، مكتبة أهل البيت، ج:١ص٢٩١.

ما تقول فيما سمعت من كلامي؟ فقال له حسان: يا غيلان، إن يكن لساني يكل عن جوابك فإن قلبي ينكر ما تقول»[(١)].

المطلب الثالث: حال علماء العصر:

أنتشر في ذلك العصر علماء السوء ، وفقهاء الضلال، الذين لا يرعون حرمة الدين، ولا يقفون عند حدود رب العالمين ، بل غاية مرادهم إرضاء أمرائهم، حتى قال أحدهم: «لو كتب إلي أمير المؤمنين لنقضتها حجراً حجراً يعني الكعبة»[(٢)]، وأتى يزيد بن عبد الملك بن مروان أربعين شيخاً «وحلفوا له أنه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب في الآخرة»[(٣)]، فقد كان علماء ذلك الزمان «أتباع السلطان إلا القليل ... وكان علماء الأمة من فقهاء الأمصار وعيون تلك الأعصار يُحْبَونَ بالأموال والتحف والهدايا

(١) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (١٩٧٤)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (الطبعة)، مصر، السعادة، ج:٦ص:٧٢.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، (١٩٨٥)، سير أعلام النبلاء، (الطبعة الثانية)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج:٥ص:٤٢٩.

(٣) الدميري، محمد بن موسى، (١٤٢٤)، حياة الحيوان الكبرى، (الطبعة الثانية)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج:١ص:١٠٦.

والطرف، ويصانعهم السلطان وينحلهم سيما مع رفضهم لأمر أئمة العترة؛ إما لشر يتقونه أو لاستخفاف بهم يتوقونه»[1].

وقد تصدى العالم الشهيد غيلان الدمشقي لانحراف علماء عصره من خلال المناظرة لهم – وسيأتي بعضها –، والتحذير منهم ومن ذلك قوله: «لا تكن كعلماء زمن الهرج إن علّموا أنفوا وإن علّموا عنفوا»[2].

(١) الوزير، الهادي بن إبراهيم، ()، هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، ()، ص:٢٣١.

(٢) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (١٤١٨)، عيون الأخبار، ()، بيروت، دار الكتب العلمية، ص:١٣٨.

المبحث الثاني

ظاهرة التوحيد والعدل

وذكـرت قولـك في الكـلام ومـالهم فيـه مـن القـول الغريـب الموجـدِ
فلقـد ذكـرت مـن العلـوم أجلّهـا قـدراً وأعظمهـا لكـل موحـد
فـن بـه شـهد الكتـاب وصـحة الـ ألبـاب لـيس لفضـله مـن مجْحـد
راضـته أفكـار الأفاضـل واغتـدى كالـدر بـين زبرجـد وزمـرد
ما فيه مـن عيـب سـوى أن حققـوا لـدفاع قـول الفيلسـوف الملحـد
لـولا صـناعتهم وحسـن كلامهـم نزعـت يـد الحربـا لسـان الأسـود
وصـدقت أن محمـداً في صـحبه لم يعرفـوا تلـك العبـارة عـن يـد
مـاذا أراد محمـد منهـا وجبـ ـريل لديـه كـل حـين في النـدي[1]

التوحيد والعدل جملة واحد بين الإنس والجن لا يتغير ولا ينسخ خلافاً للشرائع؛ لأنها مصالح، والمصالح يجوز أن تتغير بالمكلف والزمان والمكان، فأما التوحيد والعدل لم يزل كان واجباً لا يتغير ابداً.

ولا شبهة أن لا خلاف في جملة الدين أيام الرسول صلى الله عليه وعلى آله ومن معه من أهل بيته وأصحابه فقد كانوا على طريقة واحدة لا يختلفون

(١) السيد العلامة الهادي بن إبراهيم الوزير.

في أمور دياناتهم، وللدين جملة وتفصيل وجملته التوحيد والعدل والنبوة والشرائع وأحكام الآخرة، وهذه الجملة عُرفت من دينه ضرورة حتى يعرف المخالف للرسول صلى الله عليه وعلى آله هذه الجملة من دينه كما يعرفها الموافق، والقرآن ناطق بها وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإجماع الأمة عليه، ولا خلاف في هذه الجملة بين الأمة وإنما الخلاف في تفصيلها(١).

وقد علم من دين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة:

١- في **التوحيد**: أن العالم مُحدث مصنوع، ومُحدثه وصانعه هو الله تعالى، وأنه قادر عالم حي سميع بصير غني موجود واحد: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى:١١]، لم يزل ولا يزال ويستحيل عليه خلاف هذه الصفات كالعجز والجهل والموت والعدم، ولا يشبهه شيئاً.

٢- في **العدل**: أن الله تعالى محسن حكيم، عدل، لا يظلم، وقضاؤه حق، وإرادته حكمة، وأمره حسن، لا يفعل القبيح، ولا يعاقب بغير ذنب،

(١) الحاكم، المحسن بن محمد كرامة الجشمي، (١٤٣٨)، الرسالة في نصيحة العامة، ص:٣٤.

ولا يأخذ أحداً بذنب غيره كما قال: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾[الإسراء:١٥].

ونتيجة لظهور الخلاف في الجملة المعلوم ضرورة من التوحيد والعدل وظهور القول بالتشبيه والجبر والقدر كان لزاماً على عدول الأمة نفي ذلك من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وإظهار القول بالتنزيه المطلق لله تعالى في صفاته وأفعاله، وإثبات حرية الإنسان في الاختيار بين الحق والباطل، ونتج عن ذلك الظهور سخط الدولة الأموية ورموزها الدينية؛ لأن القول ببراءة الله تعالى عن جرائم الحاكم يجعلهم مسؤولون أمام الأمة عنها، وإثبات حرية الإنسان في أفعاله ينتج عنه مسؤوليته عن حسنها وقبيحها ومدحه وذمه.

وتميّز القائلون بذلك بأهل التوحيد والعدل وعند خصومهم بـ(القدرية) ولهم ردود في إثبات هذه التسمية لخصومهم وأحقيتهم بها، ومن رموز التوحيد والعدل الظاهرين في وجوه المشبهة والمجبرة: أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية – المتوفى سنة ٩٨هـ –، الحسن بن محمد بن الحنفية – المتوفى سنة ١٠٠هـ –، الحسن البصري – المتوفى سنة ١١٠هـ –، قتادة بن دعامة السدوسي – المتوفى سنة ١١٨هـ–، زيد بن علي – المتوفى

سنة ١٢٢هـ -، غيلان بن مسلم الدمشقي -المتوفى سنة ١٢٢هـ-، صالح الدمشقي – المتوفى سنة ١٢٢هـ -، واصل بن عطاء – المتوفى سنة ١٣١هـ -، القاسم بن السعدي – داعية أهل اليمن إلى العدل والتوحيد -، عبد اللهّ بن الحارث – داعية أهل المغرب إلى العدل والتوحيد -، حفص بن سالم – داعية أهل خراسان إلى العدل والتوحيد -، عمرو بن عبيد – المتوفى سنة ١٤٣هـ -، بشير الرحال – المتوفى سنة ١٤٥هـ -، أيوب داعة أهل المدينة وأهل الجزيرة والبحرين إلى العدل والتوحيد -، وغيرهم الكثير.

المبحث الثالث

التعريف بغيلان الدمشقي

المطلب الأول: اسمه ونشأته:

هو غيلان بن مسلم[١] وقيل مروان[٢] وقيل يونس[٣] وقيل جرير العتكي[٤] الدمشقي، أبو مروان[٥]، قال الحاكم: هو مولى لعثمان بن عفان[٦]، وقيل: كان قبطياً[٧].

---

(١) الهمذاني، مرجع سابق، ص:١٩٦.

(٢) المرتضى، أحمد بن يحيى، (١٩٦١)، طبقات المعتزلة، (الطبعة)، بيروت، دار مكتبة الحياة، ص:٢٥.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، (١٩٩٥)، تاريخ دمشق، (الطبعة)، دمشق، دار الفكر، ج:٤٨ص١٨٦.

(٤) الحاكم، مرجع سابق، ج:١خ.

(٥) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (١٩٩٢)، المعارف، (الطبعة الثانية)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص:٤٨٤.

(٦) الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد، (١٩٧٢)، المنية والأمل، ()، الإسكندرية، دار المطبوعات الجامعية، ص:٣٠.

(٧) الدينوري، مرجع سابق، ص:٤٨٤.

ولد في الشام ولا تفاصيل عن تأريخ مولده، ونشأ في دمشق «وكانت داره بدمشق في ربض باب الفراديس شرقي المقابر في الزقاق»[١]، وأخذ عن كبار أعلام التوحيد والعدل كالحسن بن محمد – بن الحنفية – بن علي بن أبي طالب وطبقته.

قال القاضي عبد الجبار بن أحمد: «كان واحد دهره في العلم والزهد والدعاء الى اللهّ وتوحيده وعدله»[٢]، وكاتباً بليغاً[٣]وواعظاً، قال ابن النديم: «ولرسائله مجموع نحو ألفي ورقة»[٤].

وكان صادعاً بالحق في وجوه أهل الباطل من الحكام والمحكومين لا يخشى في الله لومة لائم.

(١) ابن عساكر، مرجع سابق، ج:٤٨ص١٨٦.

(٢) الهمذاني، مرجع سابق، ص:٥٥.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد، (١٩٦٣)، ميزان الاعتدال، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار المعرفة، ج:٣ص٣٣٨.

(٤) ابن النديم، محمد بن إسحاق، (١٩٩٧)، الفهرست، (الطبعة الثانية)، بيروت، دار المعرفة، ص:١٣١.

وكان «من مستحبيه عمر بن عبد العزيز، وسعد بن إبراهيم، وهاشم بن زيد، ومكحول، وله أصحاب كثر في نواحي الشام يقال لهم الغيلانية، منهم مكحول الشامي»(١)، وممن اشتهر بصحبته عالمان جليلان هما: صالح الدمشقي – وقد استشهد معه –، ومسلم – أستاذ الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ –.

المطلب الثاني: آراؤه الدينية:

لم يخرج غيلان عن القول بالتوحيد والعدل وفي اصطلاح الخصوم (القدر)، قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة – المتوفى سنة ٦١٤هـ –: «ولا يشك أحد أن غيلان كان من كبار المعتزلة القائلين بالعدل والتوحيد، النافين للجبر والقدر والتشبيه»(٢)، وقال الشيخ أبي الحسين الخياط – المتوفى بعد سنة ٣٠٠هـ –: «وأما غيلان فكان يعتقد الأصول الخمسة التي من اجتمعت فيه فهو معتزلي؛ وهذه رسائله قد طبقت الأرض تشهد

(١) الحاكم، مرجع سابق، ج:١خ.

(٢) المنصور، مرجع سابق، ج١.

بكذب صاحب الكتاب عليه»[1]، والأصول الخمسة المجمع عليها بين أهل التوحيد والعدل: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأول: التوحيد: هو «العلم بأن الله تعالى واحد لا ثاني معه يشاركه فيما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقها مع الإقرار به»[2].

الثاني: العدل: «هو الذي لا يفعل القبيح كالظلم والعبث ولا يخل بواجب[3] كالتمكين لمن كلَّفه والبيان لمن خاطبه»، وهذه حقيقة لا يندرج تحتها إلاَّ محقق واحد وهو الباري تعالى[1].

---

(١) الخياط، عبد الرحيم بن محمد، (١٩٩٣)، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، (الطبعة الثانية)، بيروت، أوراق شرقية، ص١٢٧.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص١٢٨.

(٣) قال العلامة ابن حابس الصعدي: «عندنا أنه لا يصح إطلاق القول بأنه يجب على الله تعالى واجب لإيهامه التكليف بل هو تفضل منه يفعله قطعاً» الإيضاح ص١٦١، قلت: ذكر معنى الوجوب في اصطلاح المتكلمين الشيخ الطوسي قائلاً: «وليس هذا الواجب بمعنى الحكم الشرعي كما هو المصطلح عند الفقهاء، بل هذا الواجب بمعنى

وقد نسب إليه أن الإقرار باللسان هو الإيمان فقط ولا يصح ذلك عنه، وقد أكد نفيه عنه أبو القاسم الكعبي[٢].

الثالث: الوعد والوعيد: وهو «العلم بأن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب»[٣].

الرابع: المنزلة بين المنزلتين: وهو «العلم بأن لصاحب الكبيرة[٤] اسم بين الاسمين[٥]، وحكم بين الحكمين[١]»[٢].

كون الفعل بحيث يستحق فاعله الذم، والكلام فيه هو الكلام في الحسن والقبح بعينهما، والعالم القادر الغني لا يترك الواجب الحسن ضرورة». نقد المحصل ص٣٤٢.

(١) الإيضاح في شرح المصباح ص١٦١.

(٢) النعماني، عمر بن علي بن عادل، (١٩٩٨)، اللباب في علوم الكتاب، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج:١ص٢٨٥.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص١٣٥.

(٤) الكبيرة: «هي ما يستحق عليها صاحبها من العقاب في كل وقت أكثر مما يستحق من الثواب في كل وقت». المعراج إلى كشف أسرار المنهاج ج ٣ص ٥.

(٥) الكفر والإيمان وهو الفسق.

الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو «العلم بوجوب الأمر بما كان معروفاً من الواجبات التي وعد اللهّ عليها بالثواب، والنهي عن المحرمات التي وعد اللهّ عليها بأليم العقاب»(٣).

المطلب الثالث: دوره في دولة عمر بن عبد العزيز:

كان عمر بن عبد العزيز من الفضلاء والقائلين بالتوحيد والعدل، وبناء على ذلك لم يكن راضياً عن جرائم بني أمية ومظالمهم، ولما جاءته الفرصة في تولي الحكم كان لا بد من تصحيح الوضع بإقامة العدل وإرجاع المظالم إلى أهلها، وقد نظر في استوزار من يكون أهلاً لهذه المهمة – الجسيمة والخطرة على صاحبها – لأنها تتطلب أن يكون المتولي لها عالم بما يأمر به وينهى عنه؛ لأنه لو لم يكن كذلك لم يؤمن أن يكون آمراً بمنكر أو ناهٍ عن معروف، وأيضاً أن يكون شجاعاً في ذلك بائعاً نفسه من الله تعالى؛ لأن مواجهة بنو أمية وطغيانهم نهايته ذلك القتل والصلب.

---

(١) قال العلامة القرشي: «فليس حكمه حكم المؤمنين على الإطلاق، ولا حكم الكفار والمنافقين على الإطلاق». المعراج إلى كشف اسرار المنهاج ج٤ص٣٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص١٣٧.

(٣) سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد ص٢٩.

فوجد عمر بن عبد العزيز توفر تلك الصفات في غيلان الدمشقي فقال له: يا أبا مروان، أعني أعانك الله، فقال: ولني بيع الخزائن ورد المظالم، فولاه.

فأثبت غيلان كفاءة عالية في رد المظالم وشجاعة منقطعة «فكان يخرج خزائن بني أمية فينادي عليها: هلم إلى متاع الخونة، هلم إلى متاع الظلمة، تعالوا إلى متاع من خلف الرسول – صلى الله عليه – في أمته بغير سيرته وسنته، حتى كان فيما نادى عليه جوارب قيمتها ثلاثون ألف درهم قد ائتكل بعضها»(١).

فقال غيلان: من عذيري ممن يزعم أن هؤلاء أئمة عدل؟ قد تآكلت هذه الجوارب في خزائنهم، والفقراء والمساكين يموتون جوعاً»(٢).

(١) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص١٩٨.

(٢) حمدون، محمد بن الحسن، (١٤١٧)، التذكرة الحمدونية، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار صادر، ج:٣ص١٩٣.

المطلب الرابع: شهادات بعض الفضلاء فيه:

قال فيه العالم المتكلم الحسن بن محمد بن الحنفية: «هذا هو حجة الله على أهل الشام»(١).

ودخل غيلان على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: ما لي أراك مصفراً؟

قال: أوجاع وأسقام.

قال: أقسمت عليك لتخبرني؟

قال: يا أمير المؤمنين، آكل حلاوة الدنيا فأجدها مرة، فصغر قدرها واستوت عندي حجارها وذهبها، وكأن الناس يساقون إلى الجنة، وأنا أساق إلى النار.

فقال عمر: «من سرَّه أن ينظر إلى رجل قد وهب نفسه لله، وفرَّغها له، وليس فيه عضوٌ إلا وهو ينطق بالحكمة، فلينظر إلى هذا»(٢).

---

(١) الهمذاني، مرجع سابق، ص:٣٠.

(٢) الحاكم، مرجع سابق، خ.

المبحث الرابع

غيلان وثورة الإمام زيد بن علي

المطلب الأول: أسباب وأهداف ورجال ثورة الإمام زيد:

كانت ثورة الإمام زيد بن علي فكرية ودينية وسياسية واجتماعية ضرورة حتمية لسوء الأوضاع الغير محتملة من عدول الأمة، وكانت أهدافها مما لا يختلف العقلاء فضلاً عن المسلمين عامة في وجوب تحقيقها، ولأجل ذلك كان علماء الأمة الصالحين في مقدمة هذه الثورة بل أعمدتها مع اختلاف فرقهم ومذاهبهم وأعراقهم وأجناسهم، «فلم يكن الزيدي أحرص عليها من المعتزلي، ولا المعتزلي أسرع إليها من المرجئ، ولا المرجئ من الخارجي»(١).

أولاً: أسباب الثور:

١- الاستبداد السياسي وطغيان الظلم والجور وتولي من لا يستحق الولاية وبالطرق الغير مشروعة.

---

(١) الحميري، نشوان بن سعيد، (١٩٤٨)، الحور العين، (الطبعة الأولى)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص:١٨٦.

٢- تفشي ظاهرة التشبيه والجبر والقدر في المجتمع الإسلامي وتصوير ذلك بأنه من الإسلام.

٣- إعلان موقف الإسلام من السلطة القائمة بالخروج عليها والعقائد المنحرفة بالرد عليها وإثبات بطلانها.

ثانياً: أهداف الثورة:

١- تحكيم كتاب الله تعالى والسنة الصحيحة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والعودة إلى العقيدة الإسلامية الصافية.

٢- جهاد الظالمين حكاماً ومحكومين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين.

٣- إقامة العدل بين الناس جميعاً، ورد المظالم المنهوبة من قبل الأمراء إلى أهلها.

ثالثاً: رجال الثورة:

شارك في ثورة الإمام زيد جملة من أكابر علماء الأمة كل واحد منهم بحسب طاقته فمنهم من دعم بالمال ومنهم ومن دعم بالقول والحثَّ على

الخروج مع الإمام ومنهم من شارك بدمه، وممن اشتهر من الفقهاء والمحدثين بالمشاركة بأي نوع منها ما يلي:

١- منصور بن المعتمر السلمي – المتوفى سنة ١٣٢هـ -.

٢- نصر بن خزيمة العبسي – المتوفى سنة ١٢٢هـ -.

٣- معمر بن خيثم العامري --.

٤- فضيل بن الزبير الأسدي --.

٥- معاوية بن إسحاق بن زيد الأنصاري – المتوفى سنة ١٢٢هـ-.

٦- يزيد بن أبي زياد – المتوفى سنة ١٣٦هـ -.

٧- هلال بن خباب – المتوفى سنة ١٤٤هـ -.

٨- سلمة بن كهيل الحضرمي – المتوفى سنة ١٢٢هـ -.

٩- هارون بن سعد العجلي – المتوفى نحو ١٤٥هـ -.

١٠- هاشم بن البريد الكوفي – المتوفى نحو سنة ١٥٠هـ-.

١١- أبو هاشم الرماني – المتوفى سنة ١٢٢هـ -.

١٢- حجاج بن دينار الأشجعي --.

١٣- عبدة بن كثير الجرمي --.

١٤- الأعمش سليمان بن مهران الأسدي – المتوفى سنة ١٤٨هـ-.

١٥- محمد بن أبي ليلى --.

١٦- أبو حنيفة النعمان –المتوفى سنة ١٥٠هـ -.

المطلب الثاني: غيلان في ثورة الإمام زيد بن علي:

باعتبار غيلان الدمشقي من أكابر علماء أهل التوحيد والعدل ورسوخه في الأصول لا سيما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن عالم مثله لا يمكن تخلفه عن شرف المشاركة في هذه الثورة المباركة التي «لم يكن الزيدي أحرص عليها من المعتزلي، ولا المعتزلي أسرع إليها من المرجئ، ولا المرجئ من الخارجي»[1]، لا سيما وقد تطابقت لديه الأسباب الموجبة للخروج والأهداف المرجو تحققيها.

(١) الحميري، مرجع سابق، ص:١٨٦.

وبناء على ما سبق فإنه قد شارك في ثورة الإمام زيد بن علي بما أمكنه من المشاركة إما بالقول أو الفعل أو هما جميعاً وهو المرجح؛ لأنه لا دليل على أن مقتله كان قبل سنة ١٢٢هـ، إضافة إلى رواية القرطبي والإشبلي بقولهما: «فقتله هشام وصلبه؛ لأنه خرج مع زيد بن علي» وفيها دليل على الخروج الفعلي مع الإمام زيد في سنة ١٢٢هـ فيكون قتله وصلبه بعد مقتل الإمام زيد بن علي، فإنه بعد مقتل الإمام تفرق من نجى من الثوار فمنهم من فر إلى خرسان كيحيى بن زيد ومنهم إلى أرمينيا وغيرهما «خرج غيلان وصاحبه صالح إلى أرمينية، فبلغ ذلك هشاماً، فأرسل في طلبه، [وكان قد وضع عليهما عيونا فأخبر بنزولهما حيث نزلا، فدس شهودا شهدوا عليهما][(١)]، فجيء به وصالح، فحبسهما في السجن ليقتلهما.

فأخرجه هشام وأخرج معه صالحاً، فقطع أيديهما وأرجلهما. ثم قال لغيلان: كيف ترى ما صنع ربك بك؟

فقال غيلان: لعن الله من فعل بي هذا.

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، (١٩٩٦)، أنساب الأشراف، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الفكر، ج:٨ص٤١٧.

ثم عطش صالح، فاستسقى له غيلان، فقال بعض أهل الشام: لا نسقيكم حتى تشربوا من الصديد، فالتفت إلى صالح مبتسماً وقال: يا صالح زعم هؤلاء أنهم لا يسقونا حتى نشرب من الزقوم، ولعمري لئن كانوا صدقوا إن الذي نحن فيه ليسير في جنب ما نصير إليه بعد ساعة من عذاب الله، ولئن كانوا كذبوا إن الذي نحن فيه ليسير في جنب ما نصير إليه بعد ساعة من روح الله، فاصبر يا صالح.

ثم إنه مات قبل غيلان، فحرفه غيلان إلى القبلة فصلى عليه، ثم أقبل يقول: قاتلهم الله كم من حق قد أماتوه، وكم من باطل قد أحيوه، وكم من ذليل في دين الله قد أعزوه، وكم من عزيز في دين الله أذلوه.

فقيل لهشام: قطعت يدي غيلان ورجليه، وأطلقت لسانه، فقد بكى الناس حوله ونبههم على ما كانوا غافلين عنه، فأرسل إليه يقطع لسانه، فقيل له: أخرج لسانك. فقال: لا أُعين على نفسي. فكسر فكيه واستخرج لسانه فقطعوه، فمات رحمه الله»[1].

(١) الهمذاني، مرجع سابق، ص:١٩٩-٢٠١.

وفي رواية أخرى: «عن المدائني عن شيخ من جرم أنه قال: إني لباقريتين، وبينها وبين دمشق مرحلتان على الإبل، إذ نزلت قافلة جاءت من أرمينية فيها خلق، فجاء رجل من كلب من قبل هشام، ورجل آخر معه فقالا: أيتها النازلة أفيكم غيلان بن مسلم؟ فقام رجل أحمر عليه قباء نصيبي مجلد الأزرار فقال: أنا غيلان أبو مروان. فقالا: أين صالح، فقام رجل ربعة حسن الوجه فقال: أنا صالح أبو عبد السلام فشداهما في الحديد وحملاهما إلى هشام، فقال هشام لغيلان: ويلك ما هذا الذي يبلغني عنك من القول؟

فسبقه صالح فقال: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[البقرة:٢٨٦]، فقال له هشام: أتركت أن تتلو كتاب الله محكمه، وتلوت متشابهه، إن هذا ليحقق ما قيل فيكما، قال: أو هذا متشابه؟ قال: أخرجوهما فاضربوهما سبعين سبعين، فضربا، وجاء قوم فشهدوا عليهما بأنهما قالا: ما ولى الله هشاما شيئا قط، وإن الناس يتغالبون على الأرزاق، وتأتيهم بالاتفاقات. فقال: لعلكم شهدتم لأمر وجدتم عليهما فيه، أو لعداوة واجبة؟ فقالوا: لا، ولكنك إمام وقد خرجنا إليك مما في أعناقنا، فقطع أيديهما وأرجلهما،

فمر عليهما عثمان بن حيان المري فقال: يا غيلان، كان هذا بقضاء الله وقدره؟ فقال: كان في علم الله.

ثم أمر هشام بإخراج ألسنتهما من أقفيتهما أو قطعها فلم يلبثا أن ماتا»[1].

وقد جعل هشام بن عبد الملك من هذا الرأي الديني سبباً ظاهرياً لقتله وصلبه حتى أصبح السبب المشهور لذلك وطغى على الأسباب الأخرى من مناهضته للحكم الأموي والخروج مع الإمام زيد بن علي؛ كونه آخر الأسباب والمشاع بين الناس، وقد أثر ذلك في عدد أهل التوحيد والعدل قال الإمام الحاكم: «ولما كان من أصحابنا بعد ذلك انقباض إما لخوف مما جرى على غيلان والحسن وواصل وعمرو، أو لصيانة الدين وترك مجالسة الظلمة، واستمر ذلك الانقباض فقلَّت العوام فيما لهذا السبب»[2].

(١) البلاذري، مرجع سابق، ج:٨ص٤١٧-٤١٨.

(٢) شرح عيون المسائل ج١خ.

المبحث الخامس

استشهاده وتشويه صورته

كان استشهاده كما سبق على يد الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان، وقد تم قتله ثم صلبه كما هو مصير فضلاء الأمة، فكما قيل سابقاً فإنهم قبل قتله قاموا بقطع يديه، ثم قاموا بقتله، ثم صلبه، قال عبد الله بن حنبل: حدثني سوار بن عبد الله، حدثنا معاذ بن معاذ، عن ابن عون، قال: «أنا رأيت غيلان مصلوباً على باب دمشق»(١).

المطلب الأول: أسباب استشهاده:

هناك ثلاثة أسباب مجموعة كانت سبب قتله ثم صلبه، وهي ذات الأسباب التي تسببت بمقتل وصلب فضلاء الأمة كالإمام زيد بن علي، والأسباب هي:

الأول: وهو الأصلي: قوله بالتوحيد والعدل ومنه (حرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله) أو ما يسميه خصومه بـ(القدر)، قال عبد الرحمن بن الجوزي – المتوفى سنة ٥٩٧هـ –: «وظهر في أيام هشام غيلان بن مروان أبو

(١) السنة ج٢ص٤٣٠.

مروان الدمشقي فأظهر الاعتزال فقتله وصلبه بباب دمشق»[1]، وقيل لإياس بن معاوية: ما يمنعك ان تصف القول بالقدر وقد أبصرته؟ قال: «رأيته وناظرت غيلان فأبصرت الحق والعدل ولكني أكره أن أقول فأصلب كما صلب»[2].

الثاني: فرعي وهو ناتج عن الأول ومن فرعه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو وقوفه في وجه بني أمية وطغيانهم وبث جرائمهم ومخازيهم، من ذلك مناظراته العديدة مع فقهاء بلاطهم، وموقفه المشهود في ظل حكومة عمر بن عبد العزيز وتوعد هشام بن عبد الملك فإنه لما رآه يبيع خزائنهم ويبين قبائحهم قال: «أرى هذا يعيبني ويعيب آبائي، والله لو ظفرت به لأقطعن يديه ورجليه»[3]، وأيضاً مقولته الشهيرة عن تولي هشام بن عبد الملك: «أعوذ بجلال الله أن يأتمن الله خواناً أو يستخلف خزاناً؛ إن

(١) الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (١٩٩٢)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج:٧ص٩٨.

(٢) المرتضى، مرجع سابق، ١٣٧.

(٣) الهمذاني، مرجع سابق، ص:١٩٩.

أئمته القوامون بأحكامه، الراهبون لمقامه؛ لم يولّ الله وثاباً على الفجور، ولا شراباً للخمور، ولا ركاباً للمحظور»[(١)].

الثالث: فرعي وهو ناتج عن الأول ومؤيد للثاني وهو تأييده لثورة الإمام زيد بن علي – ١٢٢هـ –، وقد جمع الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك ما سبق إلى هذا وكان هذا السبب النهائي للحكم عليه بالقتل والصلب كما حدث للإمام زيد بن علي، قال ابن عبد البر القرطبي – المتوفى سنة ٤٦٣هـ –: «فقتله هشام – لعنه الله – وصلبه لأنه خرج مع زيد بن علي بن حسين بن علي»[(٢)].

وقال القاضي محمد بن عبد الله الاشبيلي المالكي – المتوفى سنة ٥٤٣هـ –: «فقتله هشام وصلبه؛ لأنه خرج مع زيد بن علي بن حسين ابن علي»[(٣)].

---

(١) الزمخشري، جار الله، (١٤١٢)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، (الطبعة الأولى)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ج:٣ص١٥٢.

(٢) القرطبي، وسف بن عبد الله، (٢٠٠٠)، الاستذكار، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج:٨ص٢٦٨.

(٣) الاشبيلي، محمد بن عبد الله، (٢٠٠٧)، المسالك في شرح موطأ مالك، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج:٧ص٢٣٣.

المطلب الثاني: تشويه صورته:

كان لمقتل غيلان وصلبه وقع شديد في نفوس الناس وخافت السلطة الظالمة وفقهاء ضلالها من أن ترتد عليهم الجريمة لشناعتها وحسن سيرة غيلان، حتى أنه روي «عن رجاء بن حيوة أنه كتب إلى هشام بن عبد الملك بلغني أنك دخلك شيء من قتل غيلان ولقتل غيلان وصالح أحب إلي من قتل ألفين من الروم»(١).

فرأوا أن لا سبيل إلى وقف غليان النفوس سوى تشريع الجريمة وإبعاد الناس عن غيلان وفكره من خلال تشويه صورته، فقام فقهاء الضلال بالافتراء عليه وإثبات استحقاقه للقتل والصلب بل وصلت بهم الجرأة إلى أن يكذبوا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرووا – كذباً وزوراً – «عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: يكون في أمتي رجلان أحدهما وهب يهب الله له الحكمة، والآخر غيلان فتنته على هذه الأمة أشر من فتنة الشيطان»(٢).

---

(١) الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله، (١٩٨٠)، تاريخ أبي زرعة، (الطبعة)، دمشق، مجمع اللغة العربية، ص:٣٧٠.

(٢) ابن سعد، مرجع سابق، ج:٦ص٧٠.

[افتراء مناظرات]:

ومن جملة ما استخدم لتشويه صورته افتراء مناظرات بينه وبين آخرين وإظهار ضعف حجته فيها، ومن ذلك بينه وبين عمر بن عبد العزيز: «أخبرنا الفريابي قال: نا عبد الله بن عبد الجبار الحمصي قال ثنا محمد بن حمير، عن محمد بن مهاجر، عن أخيه عمرو بن مهاجر قال بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان يقول في القدر فبعث إليه فحجبه أياما، ثم أدخله عليه، فقال غيلان: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال عمرو بن مهاجر: فأشرت إليه أن لا تقول شيئا قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٣) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[الإنسان:٣]، قال: اقرأ آخر السورة: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[الإنسان:٣١]، ثم قال: ما تقول يا غيلان؟ قال: أقول: قد كنت أعمى فبصرتني، وأصم فأسمعتني، وضالا فهديتني، فقال عمر: اللهم إن كان عبدك غيلان صادقا، وإلا فاصلبه، فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق، فلما مات عمر بن

عبد العزيز، وأفضت الخلافة إلى هشام ، تكلم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمر به رجل والذباب على يده، فقال له: يا غيلان: هذا قضاء وقدر، فقال: كذبت، لعمر الله ما هذا قضاء ولا قدرا، فبعث إليه هشام فصلبه»(١).

[تشريع قتله]:

قال ابن حجر: «وأخرج ابن حبان بسند صحيح إلى إبراهيم بن أبي عبلة قال: كنت عند عبادة بن نُسي فأتاه آت أن هشاماً قطع يدي غيلان ورجليه وصلبه فقال: أصاب والله فيه القضاء والسنة، ولأكتبن إلى أمير المؤمنين ولأحسنن له رأيه»(٢).

وجاء في الدرر السنية في الأجوبة النجدية: «وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم مجوس هذه الأمة، وأفتى العلماء رحمهم الله بقتل داعيتهم،

---

(١) الآجري، عبيد الله بن محمد، (١٩٩٤)، الشريعة، (الطبعة الثانية)، الرياض، دار الراية للنشر والتوزيع، ج:٢ص٩٢٠.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (١٣٩٠)، لسان الميزان، (الطبعة الثانية)، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج:٤ص٤٢٤.

غيلان القدري؛ فقتله هشام بن عبد الملك في خلافته؛ وهم مبتدعة بإجماع العلماء»[1].

[التشويه على لسان الفقهاء والمحدثين]:

- عن ابن المبارك: «كان من أصحاب الحارث الكذاب وممن آمن بنبوته فلما قتل الحارث قام غيلان إلى مقامه وقال له خالد بن اللجلاج: ويلك، ألم تك في شبيبتك ترامي النساء بالتفاح في شهر رمضان، ثم صرت خادماً تخدم امرأة الحارث الكذاب المتنبي وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت فصرت قدريا زنديقا؟! ما أراك تخرج من هوى إلا إلى شر منه»[2].

- وعن مكحول: «إن دعاك غيلان فلا تجبه، وإن مرض فلا تعده، وإن مات فلا تمش في جنازته»[3]، «حسيب غيلان الله، لقد ترك هذه الأمة في مثل لجج البحار»[1].

---

(١) ج١١ص٣٨٩.

(٢) العسقلاني، مرجع سابق، ج:٤ص٤٢٤.

(٣) ابن بَطَّة، عبيد الله بن محمد العكبري، (١٤١٥)، الإبانة الكبرى، (الطبعة الأولى)، الرياض، دار الراية للنشر والتوزيع، ج:٤ص٢١٦.

- وقال رجاء بن حيوة: «قتله أفضل من قتل ألفين من الروم»[٢].

- وقال السَّاجِي: «كان قدريا داعية دعا عليه عمر بن عبد العزيز فقتل وصلب وكان غير ثقة، وَلا مأمون، كان مالك ينهى عن مجالسته»[٣].

- قال ابن حجر: «وكان الأوزاعي هو الذي ناظره وأفتى بقتله»[٤].

---

(١) الآجري، مرجع سابق، ج:٢ص٩٥٧.

(٢) العسقلاني، مرجع سابق، ج:٤ص٤٢٤.

(٣) العسقلاني، مرجع سابق، ج:٤ص٤٢٤.

(٤) العسقلاني، مرجع سابق، ج:٤ص٤٢٤.

المبحث السادس

آثاره

كانت لغيلان الدمشقي الكثير من الآثار الفكرية والرسائل والخطب والمواعظ والحكم وقد حصرها ابن النديم في ألفين ورقة، وقال القاضي عبد الجبار: «وله من الرسائل ما يدخل في مجلدات، تشتمل على التوحيد، والعدل، والوعد الوعيد، والدعاء الله، التزهيد في الدنيا»(١).

وبعد بحث عميق في مصادر التراث الإسلامي - المتاح لدي - لم أجد من ذلك سوى قليل جداً من الحكم والرسائل والمواعظ وهي كما يلي:

المطلب الأول: الحكم:

- كتب غيلان بن مسلم الدمشقي إلى أخ له: «أما بعد فأفرغ إلى العلم، ولا تفرغ منه، فإن العلم مسكن العاقل الذي عنه يصدر وإليه يرد»(٢).

---

(١) الهمذاني، مرجع سابق، ص:١٩٧.

(٢) الزمخشري، مرجع سابق، ج:٤ص٣٥.

– قال الوضين بن عطاء لغيلان: من أين أوتيت هذا العلم يا أبا مرون؟ فقال: «ويحك يا وضين، أرد الله بما تعلم يفزع إليك العلم إفزاعاً، إن الذي ترى جهلنا بما لا نعلم هو من تقصيرنا فيما نعلم»(١).

المطلب الثاني: المواعظ:

– قال غيلان: «إن التراجع في المواعظ يوشك أن يذهب يومها ويأتي يوم الصاخّة، كلّ الخلق يومئذ مصيخ يستمع ما يقال له ويقضي عليه، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا. فاصمت اليوم عما يصمتك يومئذ، وتعلّم ذلك حتى تعلمه، وابتغه حتى تجده، وبادر قبل أن تفجأك دعوة الموت؛ فإنها عنيفة إلا بمن رحم الله، فيقحمك في دار تسمع فيها الأصوات بالحسرة والويل والثّبور، ثم لا يقالون ولا يستعتبون. إني رأيت قلوب العباد في الدنيا تخشع لأيسر من هذا وتقسو عند هذا، فانظر إلى نفسك أعبد الله أنت أم عدوّه؟ فيا ربّ متعبّد لله بلسانه، معاد له بفعله ذلول في الانسياق إلى عذاب السعير في أمنيّة أضغاث أحلام يعبرها بالأماني والظّنون. فاعرف نفسك وسل عنها الكتاب المنير، سؤال من يحبّ أن

(١) الحاكم، مرجع سابق، ج١خ.

يعلم، وعلم من يحب أن يعمل، فإنّ الربّ جلّ ثناؤه لا يعذر بالتعذير والتغرير، ولكن يعذر بالجدّ والتشمير. اكتس نصيحتي؛ فإنها كسوة تقوى ودليل على مفاتح الخير، ولا تكن كعلماء زمن الهرج إن وعظوا أنفوا، وإن وعظوا عنفوا. والله المستعان»(١).

- عن أبي علي الرحبي، قال: إني لعند عمر بن عبد العزيز إذ جاءه البواب، فقال: بالباب رجل معه طومار، عنوانه (إلى عمر بن عبد العزيز) بلا ختم، فدعا به، فنظر إليه فيما بينه وبين نفسه، حتى أتى إلى آخره، ثم رجع حتى إذا كان قريباً من الثلث، قال: اسمعوا من هذا الموضع:

«أبصرت يا عمر وما كدت، ونظرت وما كدت، أعلم يا عمر أنك أدركت من الإسلام خلقاً بالياً، ورسْماً عافياً، فيا ميَّت بين الأموات، لا ترى أثرا فتتبع، ولا تسمع صوتاً فتنتفع، قد خفي عليك، أُميتت السَّنة، وظهرت البدعة، وأخيف العالم فلا يتكلم، ولا يفطن الجاهل فيسأل، وربما نجت الأمة بالإمام، وربما هلكت بالإمام، فانظر أي الإمامين أنت؛ فإن تعالى يقول: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[الأنبياء:٧٣]، فهذا إمام

(١) الدينوري، عبد الله بن مسلم، (١٤١٨)، عيون الأخبار، (الطبعة)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج:٢ص٣٧٣.

هدى ومن اتبعه شريكان، وأما الآخر قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ**﴾[القصص:٤١]، ولن تجد داعياً يقول تعالوا إلى النار إذاً لا يتبعه أحد، ولكن الدعاة إلى النار هم الدعاة إلى معاصي الله، فهل وجدت يا عمر حكيماً يعيب ما يصنع، أو يصنع ما يعيب، أو يعذب على ما قضى، أو يقضي ما يعذب عليه، أم هل وجدت رشيداً يدعو إلى الهدى ثم يضل عنه، أم هل وجدت رحيماً يكلف العباد فوق الطاقة أو يعذبهم على الطاعة، أم هل وجدت عدلاً يحمل الناس على الظلم والتظالم، وهل وجدت صادقا يحمل الناس على الكذب والتكاذب بينهم، كفى ببيان هذا بياناً وبالعمى عنه عمى، [ولا يغررك ما نال من البلاء في الخاصة والعامة، قديماً ما كان ذلك، فكل ما يحدث من الزلازل يزلزل الله به عباده؛ ليختبرهم، فما ينجو منهم إلا القليل، فلا تنظر إلى أولئك، واعلم أنه لا ينبغي للبصير أن ينقاد للعمي، والسلام][(١)]»[(٢)].

– قال له هشام بن عبد الملك: أتزعم أن ما في أيدينا ليس هو عطاء من الله لنا. فقال له غيلان: «أعوذ بجلال الله أن يأتمن خواناً، أو يستخلف

(١) الهمذاني، مرجع سابق، ص:١٩٨.

(٢) الحاكم، مرجع سابق، ج١خ.

الخلفاء من خلقه فجاراً، إن أئمته القوامون بأحكامه، الراهبون لمقامه، الذين كايدوا بالعدل الدول، وخافوا مقاماً لا يجدون عنه الحول، ولا يتقلبون عنه بالعلل، باتوا ومقامهم المحمود، وليلهم المشهود، بطول القيام والسجود، لم يول الله وثاباً على الفجور، ولا ركاباً للمحذور، ولا شراباً للخمور، ولا شاهداً بالزور». فأمر بحبسه(١).

- وقال غيلان لصالح: «مقامك مقام شريف، ومتجرك متجر ربيح، وإنما نُقم منا أن قلنا: (إن ربنا منصف لا يجور)، يا صالح، قتلت أنبياء؛ [فذبح يحيى بن زكريا بسكين](٢)، ونشر زكريا بالمنشار»، فقال له صالح: ما لك، أحياك الله حياً وميتاً كما أحييتني حياً وميتاً(٣).

- ولما سجن غيلان كتب إليه بعض إخوانه يعزيه ويصبِّره بشدة البلاء والشدائد التي كانت على الصحابة، فأجابه غيلان، فقال: «أوصيك بتقوى الله؛ فإن تقوى الله حياة من يريد الحياة، ونجاة من يريد النجاة، فكيف نترك ذلك إلى غيره، نسأل الله أن يجعلنا وإياك من المتقين، كتبت تذكر فضيلة

(١) الحاكم، مرجع سابق، ج:١خ.

(٢) الهمذاني، مرجع سابق، ص:٢٠٢.

(٣) الحاكم، مرجع سابق، ج:١خ.

المتقين مع رسول الله – صلى الله عليه – لشدة بلائهم في ذلك الزمان، تقول ومن يبلغ فضائلهم ومن يصيبه من البلاء بمثل الذي أصابهم، وسأبين لك فقرق ما بين هذين الزمانين زمان رسول الله – صلى الله عليه – بما لا تنكره إن شاء الله، فاعرفه ثم احمد الله: إن الله تعالى ابتلى العباد في زمن محمد – صلى الله عليه – بالقرآن المجيد، وكان ذلك بلاء علم ليس معه جهل، وابتلاهم برسول الله – صلى الله عليه – بلاء رحمة مع القرآن، يهديهم مع هدى القرآن، فأضلوا عنه، وبيَّن لهم مع بيان القرآن، ويعلمهم مع علم القرآن، فأجهلوا عن علم القرآن، كان ذلك الزمان بلاؤه بلا توبة وعفو من الرحمن الرحيم، ويؤيد الله ورسوله بالحجة وابتلاهم بذلك؛ ﴿**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[الأنفال:٤٢]، وإنك ونحوك خُلقت في زمن ابتلى الله العباد فيه بذنوبهم، ظهر في زمانك هذا جهل لا علم معه، وضلالة لا هدى معها، ولبس لا بيان معه إلا قليل يستحقونه، فاجتمع الناس على الهلكة، وقعدوا بكل صراط يوعدون، ويصدون عن سبيل الله من آمن ويبتغونها عوجاً، قد أخرجوا الكتاب والسنة عما وضعت عليه، وسموا الدين وغير أهل الدين [بغير] أسمائهم، واجتمعت على ذلك منهم الجماعة، واثبتوا على ذلك فيهم الشهادة، فليس يلتفت ملتفت إلا إلى

ضال مضل إلا فرق يسيرة، قد سمّوهم بغير أسمائهم، واتخذوهم سخرياً، وكانوا منهم يضحكون، إن ظهروا عليهم قتلوهم، فما يزال المبتغي في هول ذلك وحزونته يقيس للأمور بعضها ببعض، ينظر فيها إلى الله، وينظر الله إليه، غريباً وحيداً، حتى عرّفه الله من دينه ما يجهل، فهو يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ويكون لهم الويل مما يصفون، [ومع ذلك فحججه على أهل الباطل ظاهرة، ولهم الويل الطويل، وعزيتني وقد أصبت لو كنت تهنيني؛ لأني كلما عارضني من ضيق البلاء غصة فرجها عني ما كنت فيها من السعة والرحمة، فكأن الذين هم في سكراتهم يعمهون لو عاينوا سبيلهم لعرفوا ما جهلوا، و﴿**تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا**﴾[البقرة:١٦٧][(١)]»[(٢)].

(١) الهمذاني، مرجع سابق، ص٢٠٠.

(٢) الحاكم، مرجع سابق، ج:١خ.

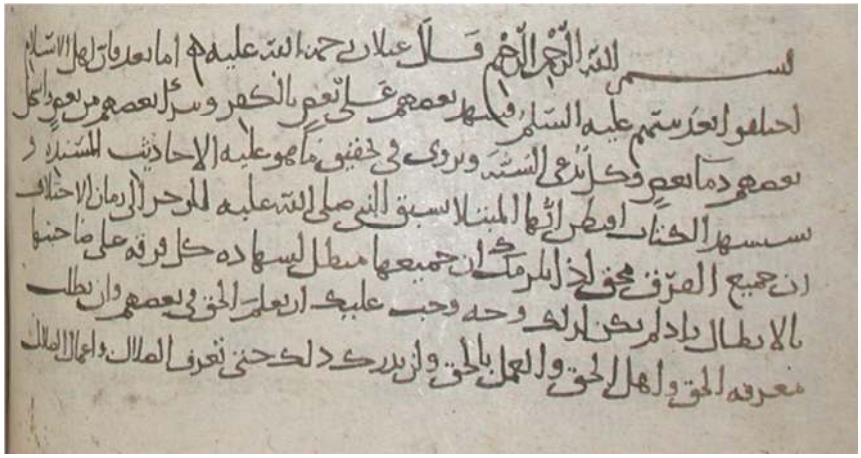

بسم الله الرحمن الرحيم

قال غيلان – رحمة الله عليه –:

أما بعد:

فإن أهل الإسلام اختلفوا بعد نبيهم عليه السلام، فشهد بعضهم على بعضٍ بالكفر، وتبرأ بعضهم من بعضٍ، واستحل بعضهم دماء بعضٍ، وكل يدعي السنة، ويروي في تحقيق ما هو عليه الأحاديث المسندة، ويستشهد الكتاب.

أفتظن أيها المبتلى سبق النبي صلى الله عليه للزجر إلى زمان الاختلاف أن جميع الفرق محق لذا يلزمك أن جميعها مبطل؛ لشهادة كل فرقة على صاحبتها بالإبطال، وإذا لم يكن لذلك وجه وجب عليك أن تعلم الحق في بعضهم، وأن تطلب معرفة الحق وأهل الحق والعمل بالحق، ولن تدرك ذلك حتى تعرف الضلال وأعمال الضلال.

إن الذي جاءت به الدعوة لا يرده عليك أحد من المسلمين تطمئن إليه القلوب وتسكن إليه النفوس للحجة التي احتج الله بها على أهل العقول فلا يشك أن فرقة الحق غريبة في الفرق؛ لقلة من يواليها وكثرة من يعاديها، ولأنها تدعو إلى حراب الدنيا وقطع أسباب الهوى وتعجل المكروه في ذات الله، ولو أن الجميع ناصحوا في الحث عن الهدى لا يعفوا عليه وأدركوه فإن طرقه بينة وأعلامه واضحة لمن نظر بعين العدل، ولكنهم آثروا الدنيا وجعلوا الدين تبعاً لهم ومالوا مع الهوى في تأويله واستعملوا الرأي فيه.

وإن سرك أن تحيا وتدخل في الضياء وتمسك بالهدى فالزم ذكر الموت كلامك، واعتصم بكل أمر استبان لك نفعه عند الموت وليجزيك مآتك من ذلك في المستبين شاغل عن المشكل، فاحذر من يغرك عن نفسك ويفتنك عن دينك ويرضيك ولا يريك، إن الله تقدس اسمه قد أعم إلى عباده

بالإبرار وأراهم مصارع المعتبرين، وأخبرهم عن ندامة المفرطين نفس من الصرعة بعد الصرعة وأقال من العثرة بعد العثرة؛ لئلا يكون عليه لهم حجة.

فالسعيد من أحرز دينه وبادر فوت ما لا يؤمن؛ فإنه لا عذر لمن أضاع نجاته وقد أمكنته، ولا حجة لمن تعذر ذلك عليه فلم يجزيه، فما ترى عينك غناء إذا آثرت النقاء وعدلت عن الهوى، فخذ موعظتك مما ترى عينك وعبرتك مما سمعته أذنك، واتق الله الذي لا يغتر به من عرفه ومنع من أراد، والطف في النظر لنفسك ولا تأس بمن آثر هواه على نفعه فمنع بالمعلوم له لا تعذره ومنع من إرادته ما لم يعلم به عاش ذما ومات حسيراً وبعث فقيراً وخلد سعيراً.

واحذرك لهو الحديث وإن تكون قد أصبحت في أمنية وغرور فقد غرك ما تراه من كثرة الناس معك؛ إن لهو الحديث ما ابتدعه المحدثون في دين الله وكتابه، ومن يعشه ذلك ﴿**عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً**﴾[الزخرف:٣٦]، كان محجوباً عنه فهو له قرين، فإن أعطاه الله مع ذلك دنيا يستدرجه بها يبغضه إلى الأتقياء ويجر إليه مدح السفهاء أحاطت

به الهلكة، ويعصم الله من ذلك المعتصمين بكتابه الموفين بعهده وعند ربك يفرق الجهال والسفهاء فكل في دينه.

وأهل العلم هداة بالله والكتاب والحكمة في مأدبة الرحمن وغنيمة الحياة والنجاة دعاة إلى الرب هداة إليه، لم يتفرقوا عن الشريعة ولم يجعلوا إلى غير الكتاب الوجهة، فلبسوا من الكتاب نوراً ساطعاً.

الواقف يسأل وينظر حتى يتخلى عنه الظلمة فيتأمل أصل الكلمة فإن كانت من الله وكتاب أو سنة أجمع عليها المسلمون أخذها، وإن كان أصلها من الناس تركها على الزل للذي ابتدعها، لا يقطع الأمور قبل التقدير والتفكير، ولا يقبلها بغير برهان حتى لا يسبقه برده، ولسانه قبل التثبت وبعد الوعيد من الله والتحذير، لا يخرج من سنة إلى بدعة، ولا يقصر بالعلم دون الغنيمة، ولا بالعمل دون الرعية، لا يشتري الوضيعة وإن كانت عند الناس رفيعة، الرفيعة النافعة وإن كانت عندهم وضيعة، إن الغاش لأخيه وإن لم يبد له غشه من لم يبد له نصحه عند الهلكة وإن أجاك من أراك.

وليس الإسلام على التجاهل والتهاون ولا على التمازح والتناوح ولكنه على التصادق والتناصح، إذا نظرت بعين العقل القصير من بعيد

كنت حليفاً الأسر، وإذا تأملت بالطرف الكليل من دون العطاء لم تبن لك أرض ولا سماء، فلو قد كشف ذلك الغطاء علمت أين ذهبت بك الأهواء، فإن المخطئ طريق الجنة سالك طريق النار، والعادل عن رضى الرحمن واقع في سخطه.

ولا تقرأ ما في كتابي من الموعظة بنظر فقد وصفت لك التقاء والتقوى وسأسف لك الكتاب والحكمة وليس الخبر كالمعاينة، ولا وصف الأمور كرؤيتها بالبصر فعاينها بقلبك، إن نور الكتاب أبين لا تطفئه الظلمة، ولكن الكتاب يطفئ الظلمة بواضح الحجة، إنما أنزل الله المحكمات ليبين بها المتشابهات فلم ينزل المتشابهات ليطفئ بها المحكمات، والمحكمات لا تخفى على أحد، والكتاب حرفان حرف محكم يبين المتشابه، وحرف متشابه يبينه المحكم، وليس علم الكتاب بأن يظن إنما تشابه مخالف لما أحكم فإنه ليس بخالف بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، كل الكتاب محكم مفصل وبعض المحكم أبين من بعض، الكتاب كلمات أحدهما يصدق الأخرى، والأخرى لا تكذبها، وأحدهما تبين الأخرى، والأخرى لا تلبسها، وأحدهما تعلمك الأخرى والأخرى لا تجهلكها، وأحدهما تشفيك والأخرى لا تمرضك، وأحدهما تمضيك والأخرى لا تردك، إن الحرف

الواحد مما بعث به الرب نفسه من رضاه أو سخطه عليه تأويل الكتاب يصدق بعضه بعضاً، ليس يسمى بغير الأسماء الحسناء وليس يرضى ما يسخط ولا يسخط عليه ما يرضى، ولم يول عباده غيره، ولم يجعل للعبد أن ينقض حكمته، فما كان من تأويل يصير إلى ذلك فهو الضلال البعيد.

فأوصيك بتقوى الله وأن تعرف أثر التقوى فإنها في الخاصة والعامة، والعامة والجماعة فريقان: فريق: عدل بالله في السجود لخلقه، أولئك الذين كفروا وهم بربهم يعدلون.

وفريق: عدل بالله بالطاعة لعباده، فهم يطيعون العباد كما يطيعون الرب بل أفضل بطعويتهم في معصيته وبرضويتهم في سخطه ويولونهم أمرهم دونه يوفون لهم بالعهد على نقض عهده، أولئك في ضلال مبين.

فهذان فريقان كلاهما يرى أن الله أمره بما صنع وينسب ذلك إليه، فقد جارا ظلماً في الفعل وجوراً في القول.

وفريق خاصة مفارق للجماعة في السجود والطاعة وفي الكتاب خبر عن قصتهم إن هلكوا وخبر صادق عن يمينهم إن رجعوا، مثلي ومثلك

مثل رجلين قال أحدهما لصاحبه: ما أنت؟ قال: معي الدل. قال: وجدت فخذ.

وعظني بما هو لي حظ وعليك حق الموعظة كالصدقة بل هي أعظم أجراً وأبقى نفعاً، كلمة تعظ بها أخاك لينجو من هلكة ويزداد في الهدى رغبة خير من مال عظيم تصدق به عليه، ولما أدرك أخوك بموعظتك من الهدى خير مما ينال بصدقتك وإن كان فيها غناء الدنيا، فعظ من تعظ بقضاء حق ورجاء ثواب، واسمع حين توعظ إن الله يزيد بالهدى هدى ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾[مريم:٧٦].

إن الطبيب إذا وضع دواءه في غير موضعه أتعب العليل، وإذا منعه من يرجو نفعه أثم، وإذا أراد أن يداوي مجنوناً أوثقه رباطاً حتى يبلغ ما يريده منه، والسلام، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم.

الخاتمة

١- غيلان الدمشقي من أكابر أعلام الأمة الإسلامية ورموز أهل التوحيد والعدل.

٢- ولد غيلان الدمشقي في الشام، ونشأ في دمشق، وأخذ العلم عن أكابر العدلية.

٣- وقف غيلان بقوة في وجه النظام الأموي والانحرافات العقدية في المجتمع الإسلامي كالجبر والقدر والتشبيه.

٤- تولى غيلان في دولة الخليفة عمر بن عبد العزيز مسؤولية تحقيق العدل برد المظالم وبيع منهوبات أمراء بنو أمية.

٥- كان غيلان مؤمناً راسخاً في أصول الدين الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- وقف غيلان مع الإمام زيد بن علي في ثورته العظيمة وكان وقفه من أهم أسباب استشهاده.

٧- لاقى غيلان من الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك صنوفاً من العذاب فقطعت يداه ورجلاه، ثم قطع لسانه وقتله، ثم صلب، مع صاحبه الجليل صالح، ولأسباب ثلاثة: قوله بالتوحيد والعدل، وقوفه في وجه السلطة الأموية، وخروجه مع الإمام زيد بن علي.

٨- تعرض غيلان بعد مقتله إلى حملة إعلامية هالة في تشويه صورته من تقبيح عقائده وتشريع قتله وصلبه، وذلك لإبعاد الناس عنه.

٩- خلف غيلان تراثاً جليلاً في التوحيد والعدل ورسائل كثير ومواعظ وحكم وخطب، فقد أغلبها.

١٠- قال الحسن بن محمد بن الحنفية عن غيلان: «هو حجة الله على أهل الشام»، وقال عنه عمر بن العزيز: «من سرَّه أن ينظر إلى رجل قد وهب نفسه لله، وفرَّغها له، وليس فيه عضوٌ إلا وهو ينطق بالحكمة، فلينظر إلى هذا».

فهرس المحتويات

المقدمــة ١

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والدينية ٦

المطلب الأول: الأوضاع السياسية ٦

المطلب الثاني: الأوضاع الدينية ١١

المطلب الثالث: حال علماء العصر ١٦

المبحث الثاني: ظاهرة التوحيد والعدل ١٨

المبحث الثالث: التعريف بغيلان الدمشقي ٢٢

المطلب الأول: اسمه ونشأته ٢٢

المطلب الثاني: آراؤه الدينية ٢٤

المطلب الثالث: دوره في دولة عمر بن عبد العزيز ٢٧

المطلب الرابع: شهادات بعض الفضلاء فيه ٢٩

المبحث الرابع: غيلان وثورة الإمام زيد بن علي ٣٠

المطلب الأول: أسباب وأهداف ورجال ثورة الإمام زيد ٣٠

المطلب الثاني: غيلان في ثورة الإمام زيد بن علي..... ٣٣

المبحث الخامس: استشهاده وتشويه صورته..... ٣٨

المطلب الأول: أسباب استشهاده..... ٣٨

المطلب الثاني: تشويه صورته ٤١

المبحث السادس: آثاره..... ٤٦

المطلب الأول: الحكم..... ٤٦

المطلب الثاني: المواعظ ٤٧

الخاتمة ٦٠

فهرس المحتويات..... ٦٢